معرض للغرباوي وفيلم عن فنه وحياته : التكريم الذي تأخر عشرين عاماً

على مقعد عام في "شان دو مارس" في باريس، كان جسد نحيل لرجل أربعيني مستلقياً بلا حراك وقد فارقته الحياة، ذات يوم من شهر آذار مارس 1971. في سترة الرجل وجدوا ما يدل على هويته: جيلالي الغرباوي. ليس متسكعاً عادياً إذاً ذاك الطيف الذي قضى هنا وحيداً تائهاً في تلك الصبيحة الباريسية الباردة. إنه فنان مغربي من أبرز مبدعي جيله، ولو أن النسيان سيطويه أكثر من عشرين عاماً، تبعثرت خلالها أعماله وحكاياته على حفنة من الاصدقاء ورفاق المغامرة الفنية وعشاق الفن والمحبين.

في السنوات الاخيرة أعاد المغرب اكتشاف الغرباوي الذي تشكل سيرة حياته مادة روائية شيقة حافلة بالمنعرجات والمغامرات. فهذا الفنان المجهول النسب ولد في جوار مكناس عام 1930، وعاش متنقلاً بين المدن والتجارب بحثاً عن حقيقة داخلية كان كلما تقدم به الوقت يلمس شيئاً من ملامحها الغامضة. مطلع الخمسينات قصد الغرباوي باريس، حيث درس في "معهد الفنون الجميلة" ثم في "محترف جوليان"، فاذا به أول فنان مغربي يطرق باب التجريد، وذلك قبل الشرقاوي بسنوات عديدة.

استند الغرباوي في بحثه على منطق الخط العربي ليعطي لوحته زخماً وحركة وحرية. وخلافاً للشرقاوي الذي سيشتغل على الوشم، انصب اهتمامه على الحركة والنبرة العفوية، وعلى جعل الضوء مرئياً من خلال الالوان والمادة. من خلال ضربة ريشته الاشبه بلسع السوط، وطلاقة يده المرتبطة باللحظة. من تيار "المستقبلية الايطالية" فوتوريسم الى مدرسة الـ "كوبرا" مروراً بـ "مدرسة باريس"، عبر هذا الفنان المغرد خارج سربه، فنان كل الالتباسات، في أقاليم فنية ومناهج كثيرة خلال انتقاله بين هولندا وفرنسا والمغرب... قبل أن يستقر على الاسلوب الذي يجعله اليوم رائد التجريد في الفن المغاربي.

في السنوات الاخيرة اهتمت "مؤسسة أونا الثقافية" التابعة لشركة أونا الحكومية بجمع أعمال الفنان الراحل، وقامت الباحثة والمؤرخة ياسمينة فيلالي بوضع دراسة وافية عن فنّه وحياته. وقبل أسابيع فرغت فاتن صفي الدين المليحي، وهي ناقدة ورسامة متخصصة في تاريخ الفن، من تحقيق فيلم عن سيرة هذا الرجل الغريب وعن عالمه الابداعي والتشكيلي، وعنوانه "غرباوي: الجسد والصرخة". وسيعرض الفيلم بعد أيام في مناسبة افتتاح المعرض الاستعادي الذي يخصه "معهد العالم العربي" لجيلالي الغرباوي.

المعرض الذي يستضيفه في باريس "قسم الفن المعاصر"، يضم حوالي خمسين لوحة آتية من مجموعة "أونا" ومن بعض المجموعات الخاصة أبرزها مجموعة الهولندية تيراز بويرسما رفيقة دربه أول الستينات. وللمناسبة سيقدم كتاب ياسمين فيلالي وفيلم فاتن صفي الدين، مما يشكل فرصة نادرة للجمهور الواسع كي يعيد اكتشاف هذا الفنان الذي بدأ بائع صحف، وانتهى صديقاً للشاعر هنري ميشو وللرسام بيار سولاج. هذا الفنان الذي عاش متسكعاً على حافة الجنون، فكان يهرب منه الى أحد الاديرة في توموليين عند أعالي الاطلس، أو يتطهر منه فوق قماشة اللوحة التي تحتوي على كل عناصر حكايته الغريبة مبعثرة بين الاشكال والانحرافات والالوان الصارخة.

تفاصيل النشر:
المصدر: الوسط
الكاتب:
تاريخ النشر(م): 27/9/1993
تاريخ النشر (هـ): 11/4/1414
منشأ:
رقم العدد: 87
الباب/ الصفحة: 59 - الثقافة